

المحرر المجهول بين المعنى والمبني:

الاشكالية ومداخل الحل

رياض فتح الله بصلة(*)

ينصب موضوع هذه الدراسة على المحرر مجهول الكاتب، وذلك من حيث كونه أحد أنشطة تنظيمات سرية أو علنية تعمل ضد نظام الدولة، سواء كان صادرة من فئات داخلية أو من جهات خارجية معادية، أو صادرة بشكل مباشر من سفارات دول ذات مصلحة، أو صادرة من جهات داخلية ذات اتصال بجهات أجبية سواء من حيث التمويل أو الايديولوجية أو الدعم بأشكاله المادية والمعوية أو صادرة من أفراد ضد أفراد أو ضد شخصيات عامة بالدولة.

ويقوم تعريفنا للمحرر مجهول الكاتب على أنه ذلك المحرر الذي يأتي على هيئة كتابة على مواد يكتب عليها كالورق، ومواد يكتب منها كالأحبار، وأدوات يكتب بها كالأقلام، وتتخذ طابع الاخفاء والتستر، وتمس أمن الأفراد أو أمن الدولة، على أن المراجع لهذا التعريف يلاحظ أنه ينطبق كذلك على معظم المحررات والمستندات التي يتناولها خبراء الخطوط والمستندات بالدراسة والبحث والفحص كالشيكات والاقارات والبطاقات اللدائنية (البلاستيكية) وغيرها، فما هي تلك الخاصية التي تميز المحرر المجهول عن

(*) مدير إدارة أبحاث التزييف والتزوير - مصلحة الطب الشرعي بوزارة العدل،
جمهورية مصر العربية

غيره من المحررات؟ ونجيب أنها نطاق أو مدى المجهولية، فالشيك موضوع الطعن مثلاً تنحصر مجهولية كتابته فيما إذا كان صادراً من الشخص المسوب إليه الشيك من عدمه، إلا أن مجهولية المحرر مجهول الكاتب هي مجهولية واسعة وعامة وغير منحصرة في فرد أو أفراد محددين، لهذا يمثل البحث في المحرر مجهول الكاتب قسماً خاصاً من أعمال الخبراء يتطلب عقلية غير نمطية وآليات بحث متنوعة وطريقة للتناول غير تقليدية تختلف عما اعتاده الخبراء عند فحصهم للمحررات والمستندات المعتادة.

وبالرغم من الأهمية الحائية والأمنية للمحرر مجهول الكاتب الذي قد يكون الأداة الأساسية والقاطعة في كشف النقاب عن شبكة جاسوسية أو تنظيمات سياسية أو عصابات إجرامية منظمة، فقد خلت أدبيات خبراء الخطوط والمستندات العرب من دراسة منظمة للمحرر مجهول الكاتب، ويستثنى من ذلك ما جاء من عرض موجز ولكنه جيد ومستنير لمشاكل وآليات فحص خطابات التهديد في كتاب الحديث في التزييف والتزوير^(١).

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى محاولة توصيف عناصر الاشكالية في المحرر مجهول الكاتب، وأبعاد هذه الاشكالية كما تواجه الخبير العربي وجهات الضبطية والتحقيق في عالمنا العربي، وقد خصص لذلك المبحث الأول بكامله، ولما كانت المراجع العربية فقيرة في معالجتها لاشكالية المحرر المجهول فقد عرضنا لمداخل وآليات حل هذه الاشكالية كما جاءت في أدبيات وأعمال خبراء الغرب الأمريكي والأوروبي، حيث تقوم مداخلهم على تحليل المضمون وتحليل مورفولوجي وتحليل جرافولوجي وتحليل

(١) احمد السيد الشريف، الحديث في التزوير والتزييف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م، ص: ٢٢٣-٢٢٤.

سيكولوجي وتحليل لغوي وتحليل سيكولوجي وتحليل خطي ، وقد تركز اهتمامنا على الأسباب الكامنة وراء كل مدخل وحدود الاستفادة منه ، وقد خصص لذلك المبحث الثاني ، وأستناداً إلى هذه المداخل استخلصنا مجموعة من المقولات والفروض سوف نتخذ كمرتكز لاشتقاق رؤية منهجية تكاملية تساعد الخبراء وجهاب الضبطية والتحقيق في التعرف على الكاتب المجهول هي موضوع دراسة قادمة تستكمل بها ما جاء في دراستنا هذه

وتكمن أهمية الدراسة بشقيها الحالي والمستقبلي في النقاط الآتية

١- محاولة سد ثغرة قد تكون موجودة في ثقافة وعقل البعض من رجال الامن العرب حول المحرر مجهول الكاتب ، خاصة وأن المحرر المجهول قد يكون احدى أدوات الاتصال عند شبكات الجريمة المنظمة ومظمات الجاسوسية ، كما أنه احدى أدوات التعبير الأساسية للتنظيمات السياسية والدينية والسرية والعلنية ، كما قد يكون أحد أساليب تهديد أمن فرادى الناس في القضايا الجنائية .

٢- طرح رؤية تعتمد على الفروض الآتية .

أ- إن بذرة الدليل على الفاعل تكمن في المحرر المجهول ذاته .

ب- إعطاء أولوية لتحليل مكونات المبنى وعناصر المعنى قبل البحث عن

الفاعل المجهول

ج- إن عملية التعرف من الناحيتين العقلية والإجرائية هي انتقال تدريجي

ومنهجي من الهوية إلى الفردية .

٣- تأسيس منهجية تكاملية للتنازل العلمي للمحرر مجهول الكاتب ،

واقترح خطوات لكيفية تضيق نطاق مجهولية المحرر المجهول ، وبالتالي

حصر دائرة الاتهام في أقل عدد ممكن ، توطئة لتحديد الفاعل الحقيقي
٤- ترسيخ مبدأ ضبط الفاعل المجهول ودليل إدانته جاهز لدى الجهات الأمنية
المعنية ، وليس العكس .

المبحث الأول: الاشكالية في المحرر مجهول الكاتب:

لماذا اشكالية ، وماذا تعني ؟

تطلق لفظة اشكالية على مسألة أو مشكلة تواجه المهتمين بها بخليط
من الآراء لتوصيف المشكلة وأساليب حلها ، فالاشكالية هي مشكلة صعبة
الحل ، ولا ينطبق هذا المفهوم على أي من أعمال خبراء الخطوط والمستندات
قدر انطباقه على تحليل وفحص المحرر مجهول الكاتب للتعرف على مصدره
الحقيقي ، ذلك أن غيوم الصعوبات تواجه الباحث منذ لحظة وجود المحرر
ومحاولات ترويجه وإجراءات ضبطيته ونقله للمعمل وخطوات البحث
فيه ، وتمثل هذه الاشكالية في العناصر التالية :

١- اتساع نطاق مجهولية المحرر مجهول الكاتب ، فأنت في حاجة إلى تحديد
ما اذا كان الفاعل فرداً أم جماعة ؟ وقد يوحي الفاعل بأنه جماعة أو
تنظيم وهو في الحقيقة فرد واحد ، كذلك أنت في حاجة إلى تحديد ما اذا
كان الفاعل جهة داخلية أم خارجية ؟ ، وما اذا كان الفاعل مواطناً أم
غير مواطن ؟ ، فقد يجري بناء المحرر صياغة ومعنى على أن الفاعل من
مواطني الدولة في الوقت الذي يكون فيه الفاعل الحقيقي شخصاً أجنبياً ،
كما قد تنهمر المحررات المجهولة وكأنها متعددة المصادر بينما يثبت
التحليل في النهاية أنها من مصدر واحد ، وقد يوهمك الفاعل بأنه رجل
وهو في الحقيقة سيدة أو فتاة ، وقد يوهمك أنه مجرد فاعل خير وهو في
الحقيقة يقدم لك السم على طبق من فضة ، وقد تجري صياغة المحرر

بحيث يتبدى فيه الفاعل وكأنه عليم ببواطن الأمور وهو في حقيقة الأمر يتصيد خبراً من هنا وإشاعة من هناك ، وقد تأتي المحررات ذات أهداف وبواعث واحدة أو متماثلة بينما يثبت في النهاية أنها من مصادر متعددة ، وقد يوحي الفاعل أنه ذو اتجاه معين وهو في حقيقة الأمر يقف في الاتجاه المعاكس ، وانت في حاجة إلى تحديد الأصول العرقية والطبقية والمستوى التعليمي للفاعل فاذا بالمحرر يصاغ بحيث يطمس الفاعل أصوله العرقية ، أو يوهمك بأنه من طبقة مميزة وهو في الحقيقة من قاع المجتمع ، والفاعل بهذا يتسلق على الأحداث الجارية في الداخل والخارج ويحاول ملاحقتها لتحقيق أغراض هي في النهاية فئوية أو عنصرية أو سياسية أو غير ذلك من أهداف ، فأنت اذن أمام غابة متشابكة الأغصان مظلمة الوديان فكيف السبيل إلى تضيق دائرة الاتهام؟ وكيف السبيل إلى اشتقاق دليل إدانة غير مشكوك في حجيته؟ .

٢- وتصاحب كتابة المحرر المجهول اذا ما كتب بالخط اليدوي صعوبات مشابهة لما جرى ذكره أعلاه ، فقد تسأل هل الكتابة طبيعية أم متلاعب فيها؟ ، فاذا كانت طبيعية فهل كمية الكتابة كافية للاستناد عليها في عملية المضاهاة؟ ، ذلك أنه أحياناً يأتي المحرر المجهول وكأنه رسالة تلغرافية قصيرة يصعب معها الوقوف على أركان الشخصية الكتابية للكاتب ، ولكن دعنا نفترض أن الكتابة طبيعية كما أن كمية الكتابة كافية من الوجهة الفنية ، هنا يتبدى السؤال من ذا يكون من ملايين البشر في الدولة هذا الكاتب؟ يتطلب الأمر إذن أداة لتضييق دائرة الاتهام تعتمد على التراكيب الخطية ما اذا كانت الكتابة مصرية أم سودانية أم مغربية أم غير ذلك ، وهو ما يعني أنك في حاجة الى الوقوف على النماذج الأصلية المعيارية

الأقليمية للكتابة العربية (١) عندما تكون جنسية الكاتب مثلاً مغربية ولكنه تعرض للتعليم المصري فصارت كتابته مغربية في حين أن جنسيته مغربية، وماذا يكون الحال لو كانت الكتابة متلاعب فيها؟ والتلاعب هو محاولة الكاتب البعد عن عاداته وخواصه الخطية الأصلية بغرض الاخفاء والتستر.

٣- وقل مثل ذلك على أدوات الكتابة الآلية، فلم يعد غائباً على ضابط أو محقق أو خبير أقول عصر الآلة الكاتبة اليدوية بما كانت تزخر به مخرجاتها من خواص عامة وخواص فردية تساعد على التعرف على الآلة ومن ثم الفاعل، وفي المقابل يتنامى إنتشار الآلات الكاتبة ذات الوحدات الطابعة المنفصلة عن الآلة، سواء كانت الوحدة الطابعة كروية أو عجلية، وقد صاحب هذا التطور التقني انقلاب في أسس التعرف على مخرجات الآلة الكاتبة، فالتعرف لم يعد تعرفاً على الآلة ولكنه تعرف على الوحدة الطابعة التي يمكن استبدالها أو تغييرها أو نقلها من آلة لأخرى، لماذا؟ لأن الآلة صارت مكونة من جزئين هما جسم الآلة والوحدة الطابعة، ولم يكن هذا هو الانقلاب الوحيد في الكتابة الآلية، إذ أنه ومع بزوغ عام ١٩٧٨م ظهرت إلى الوجود الآلة الكاتبة الألكترونية حيث حلت أساليب الاتصال الألكترونية محل أساليب الاتصال الميكانيكية بين لوحة المفاتيح والوحدة الطابعة، وهكذا صارت امكانية التعرف على مخرجات الآلات الكاتبة الألكترونية على مستوى الفردية محدودة للغاية، فكلما زادت التقنية الألكترونية قلت امكانية التعرف، وينطبق القول على نظم معالجة النصوص والطابعات الكمبيوترية، ولا يعني هذا استحالة التعرف ولكنه يعني محدودية التعرف، ذلك أن

أحد أهم مشاكل الكتابة الآلية عالية التقنية في عصرنا الراهن هو أنها قلصت عملية التعرف كي تظل محدودة في الخواص العامة دون أن تبلغ الخواص الفردية الا في القليل السادر جداً، هذه بعض مشاكل التعرف على الفاعل المجهول اذا ما استخدم إحدى أدوات الكتابة الآلية المعاصرة في اخراج المحرر مجهول الكاتب

٤- ولا تقف الاشكالية في المحرر مجهول الكاتب عند الحدود المذكورة في البود السابقة، اذ قد تتعدى ذلك إلى اتجاه الفاعل لاستنساخ الأصل وترويح الصور، وقد كان الفاعل في السابق يستخدم أساليب الاستنساخ التقليدية كالسرخ بورق الكربون أو النسخ بواسطة الأستنسِل أو بكربون الهكتروجراف وغيرها من الطرق التي قل استخدامها مقارنة باستخدام الناسخات الكهروضوئية ذات الأحبار الحافة والتي تعمل بالكهرباء الساكنة على أوراق عادية، والهدف الرئيسي للفاعل هو استنساخ العدد المطلوب ترويجه من المحرر المجهول، ولكن في أحيان أخرى يتعمد الفاعل ترويج الصورة والاحتفاظ بالأصل في حوزته، وهو ما لاحظته عديد من الباحثين (٣-٦)، ومرد ذلك محاولة الفاعل التقليل من فرص التعرف عليه، على اعتقاد منه أن الصورة تطمس بعض خصائص الأصل، ومن الوجهة العلمية السريعة الفية يصعب غياب الأصل عملية الفحص والتعرف ولكن لا يلغيها، فما فعله الفاعل بمثابة إضافة دليل جديد إذا ما أحسن دراسته قد يؤدي إلى التوصل إليه

ما سبق هو عرض لبعض اشكاليات التعرف على المحرر مجهول الكاتب، ويستطيع قارئنا أن يلمس بنفسه كم هي الصعوبات والمشاكل التي تواجه رجال الأمن والشرطة والخبراء في تحديد الفاعل المجهول وإقامة

دليل الادانة عليه ، ولكن صعوبة البحث والفحص لاتعني أبداً استحالة التعرف ، فما بود أجماله هنا هو أننا أمام جريمة خاصة ، تتطلب عقلية وفكراً وثقافة ومنطقاً ومنهجاً في البحث والفحص بشكل مختلف يتلاءم وفردية جريمة خاصة تستوجب مسارات تحرر وضبطية وتحقيق تضع في اعتبارها الخصائص المميزة لهذه الجريمة .

وإذا كان الهدف النهائي لأي باحث جنائي في المحرر مجهول الكاتب هو الاجابة على سؤالين محوريين هما من الفاعل؟ وما دليل الإدانة عليه؟ ، فإنه لا مناص أمامه الا أن يسبق هذين السؤالين بسؤال كيف يمكن التعرف على الفاعل؟ ، السؤال من الفاعل سؤال معرفي ، والسؤال كيف يمكن التعرف على الفاعل سؤال منهجي ، ولكي تقوم معرفة صحيحة لابد لها من منهج قويم يلائم هذه المعرفة ، فقد انتهت أو كادت تنتهي تلك المرحلة من مراحل تطور العقل والفعل الانساني التي كانت تكتسب فيها المعرفة دون منهج ، فالمنهج خطوات تفكير ترسم للعقل مساره وتحدد له عملياته وتنعكس في الفعل الإنساني وصولاً إلى نتيجة كانت مجهولة ، انها دعوة إلى تنظيم خطوات المسير دون أن نترك أنفسنا للعفوية أو التلقائية أو الصدفة ، واذا كانت أدبيات خبراءنا العرب - في حدود ما نعلم - قد أهملت - أو كادت - كيفية فحص المحرر مجهول الكاتب ، فأحرى بنا والحال كذلك أن نعرض لكيفية معالجة العقل الأمريكي والأوروبي لاشكالية المحرر مجهول الكاتب ، وما هي مداخل الحل؟ .

المبحث الثاني : مداخل حل الاشكالية في المحرر مجهول الكاتب:

مهما تعددت مداخل الحل كما جاءت في أدبيات أعمدة خبراء الغرب الأوروبيين والأمريكيين فإنها تتمركز على محورين رئيسيين هما: المعنى

والمبنى ، وليس هذا لآ لأن المحرر معلوماً كان أم مجهولاً وإن بدى للوهلة الأولى مفهوماً بسيطاً الا أنه في حقيقة الأمر مفهوم مركب ، فالمحرر وعاء يتضمن أدلة كثيرة إذا ما تعرض للتحليل العلمي مادياً ولفظياً ، فاذا أخضع المحرر للتحليل المادي للوقوف على عناصر المبنى فيه لوجدت مواد يكتب عليها ، ومواد يكتب منها ، وأدوات يكتب بها ، وأبجدية تصطف في نظام كتابي ، وعلامات مرئية وغير مرئية مثل الكتابات المضغطة وبصمات الأصابع وتلوثات الدم أو اللعاب ، هذه وغيرها هي عناصر التحليل المادي فالمحرر وجميعها تكون مبناه ، فاذا عكس اتجاه النظر بحيث يكون التركيز على تحليل المعنى الذي من أجله أنشئ المحرر ، مستخدماً أدوات تحليل المضمون والتحليل اللغوي والسيكولوجي والجغرافولوجي ، فأنب اذن لا تنظر للمحرر من حيث كونه مجمع أدلة أو آثاراً مادية فحسب ولكن من حيث كونه قناة اتصال ووسيلة تعبير ، فيكون المعنى وطريقة بناء وتركيب وترتيب المضامين هي الخاضعة للتحليل

وعند مراجعتنا لكتابات أسبورن وهريسون وكونواي وأوهارا (٧-١٠) ، وجدنا أنها تنصب في مجملها على ما يطلقون عليه الخطابات مجهولة الكاتب ، ونحن نرى أن الخطابات مجهولة الكاتب ليست الأنواعاً من أنواع المحرر مجهول الكاتب ، لكن يجب القول أن مداخلهم لحل اشكالية الخطاب مجهول الكاتب يمكن تعميمها لتطبق على حل اشكالية المحرر مجهول الكاتب بأنواعه كافة ، وبينما نجد أن المدخل عند اسبورن ينصب على تحليل المعنى يليه تحليل المبنى ، فإن المدخل عند هريسون جاء معكوساً ينصب أولاً على تحليل المبنى ثم يليه تحليل المعنى .

لذلك ، يقرر أسبورن أن البحث في الخطاب مجهول الكاتب يجب أن

يتضمن ثلاث خطوات أساسية، الأولى هي حصر أسماء من يمكن أن تصدر عنهم هذه الخطابات أي المشتبه فيهم، والثانية هي دراسة مضمون الخطاب المجهول، والثالثة هي مقارنة خطوط المشتبه فيهم على خط الخطاب المجهول (٧)، ونسأل من هو المخول بحصر الأسماء المشتبه فيها؟ ويجب أسبورن هو المجنى عليه نفسه أو ضابط القضية، وإذا جاز لنا أو لغيرنا الأخذ بالإطار العام الذي يقرره أسبورن، فالرأي عندنا هو استبدال الخطوة الثانية بالخطوة الأولى، لماذا؟ لأن حصر الأسماء المشتبه فيها هي محاولة لتضييق دائرة الاتهام، فكيف يتأتى ذلك دون دراسة مستفيضة ومتأنية لمضمون المحرر والظروف والملابسات المحيطة به؟.

وإذا كان أسبورن هو عميد المدرسة الأمريكية في الخطوط والمستندات موضوع الاتهام، فما هو الإطار العام الذي يضعه هريسون عميد المدرسة الانجليزية؟ يتكون هذا الإطار من ثلاث خطوات أيضا لا يختلف فيها هريسون مع أسبورن سوى في الخطوة الأولى التي يجب أن تتضمن إجراء فحوصات ابتدائية على الخطاب المجهول، وتشتمل هذه الخطوة على فحص المغلف ثم فحص ورقة الرسالة ثم فحص الكتابة عليها (٨)، والفحوص الابتدائية عند هريسون هي فحوص مورفولوجية تعنى بالمظهر الخارجي للمحرر وهيبته، وتتضمن دراسة لسان المغلف وتوزيع المادة اللاصقة عليه، وبصمة خاتم البريد وعلامات الالغاء، وأي علامات غريبة به، وفحص الشيات والطيّات والتجاعيد بورقة الرسالة، وما قد تحمل من رائحة مميزة، وما قد تتضمن تضاعفها أو سطحها من بصمات أو كتابات منضغطة، ودراسة حواف الورقة ونوعها وأبعادها والثقوب والفتحات التي قد تكون بها، ثم فحص الكتابة على المغلف وبالرسالة والعلاقة بين الكتابتين،

وأدوات الكتابة المستخدمة، وتحديد ما اذا كان الخط طبيعياً من عدمه، والوقوف على نوع الكتابة الخ، وتهدف هذه الفحوصات إلى اشتقاق نتائج قد تشير إلى الكاتب المجهول، وبحيث تتساند هذه النتائج مع النتائج المستخلصة من دراسة مضمون المحرر بغرض تضيق دائرة الاتهام وحصر أسماء المشتبه فيهم

ولأن المحرر المجهول قد يتضمن أنشطة غير سوية، فقد أدى ذلك إلى ظهور اتجاهات تنادي بأهمية التناول السيكلوجي والجرافلوجي للكتابة اليدوية، والجرافلوجيا هي محاولة لتقدير سمات الشخصية عن طريق دراسة الأشكال والتراكيب الخطية اليدوية، ويعترف الخبراء العلميون على التأويل الجرافلوجي للتراكيب الخطية، ولكنهم في مقابل ذلك يقبلون بالتناول السيكلوجي للكتابة، فيمكن مثلاً الاستدلال على حالات عدم السواء العقلي من خلال دراسة تكاملية للغة ولمضمون المحرر والأشكال والتراكيب الخطية، أما الاعتماد فقط على الجرات والتراكيب الخطية في تقدير بعض سمات شخصية الكاتب فهذا ما يصعب قبوله من أصحاب المدرسة العلمية، لماذا؟ لأن المنهجية الجرافلوجية لم تستقر بعد كما لم تتضح أو تتحقق أصولها العلمية، لهذا فنحن نقبل بالتحليل السيكلوجي ونتشكك في حججه وسلامة المنهجية الجرافلوجية (١١)

كثيراً ما لوحظ استخدام الجاني المجهول أكثر من وسيلة اتصال وتعبير لتنفيذ أغراضه، فليس المهم هو وسيلة الاتصال أو أداة التعبير طالما تحقق لهما شرط الاخفاء والتستر، ولكن المهم عنده هو ابلاغ مضامينه وأفكاره لتحقيق أهدافه، سواء استخدم الخط اليدوي أو الخطوط الآلية أو الهاتف أو شريطاً مسجلاً أو حتى الاقراص المرنة FLOPPY DISKS، وهذا هو السبب

الذي جعل معامل الولايات المتحدة الأمريكية للخدمات السرية ومعامل مكاتب البحث الفيدرالية الأمريكية تنشئ آليات بحث جديدة بهدف استخدامها لفحص المحرر المجهول سواء كان مقروءاً أو مسموعاً، مثال لذلك التحليل اللغوي ويقصد به تحليل عناصر الكتابة وذلك من حيث مفردات اللغة وبناء الجملة والنحو والصرف بها واللهجة وغير ذلك من عناصر التحليل التي تهدف إلى تقدير الجوانب الديموغرافية توطئة لتحديد الفاعل، والمقصود بالجوانب الديموغرافية تقدير عمر الكاتب ونوعه ومستواه التعليمي وموطنه وأصوله العرقية . . . الخ، ويجري ذلك حال مقارنة دليل بدليل مماثل لطبيعة الدليل الأول أي مقارنة خط يدوي بخط يدوي أو مقارنة خط آلي بخط آلي، ومن ناحية أخرى قد تجري مقارنة دليل بدليل غير مماثل لطبيعة الدليل الأول كأن يقارن مضمون ولغة خط يدوي بمضمون ولغة كتابة آلية أو مكالمات هاتفية (١٢).

ولأن المحرر المجهول قد يتضمن أكوذوبة أو يتضمن سلوكاً وانفعالا مدمراً أو يتضمن مطالب وغايات موقوتة، فقد بدت ضرورة وضع تصور عن شخصية الفاعل المجهول وذلك من حيث تقييم مدى صحة التهديد وجدديته ومدى الخطر الكامن بالمحرر، لذلك أخذت معامل مكاتب البحث الفيدرالية الأمريكية بالتحليل السيكولوجي، وهو تحليل يعتمد على نتائج التحليل اللغوي بهدف وضع تصور عن شخصية الفاعل المجهول (١٢).

تلك هي مداخل حل اشكالية المحرر مجهول الفاعل كما جاءت في أدبيات وأعمال خبراء الغرب الأوروبيين والأمريكيين، فاذا أردنا إيجازها في عبارة واحدة لقلنا إخضاع المحرر لتحليل المضمون وتحليل مورفولوجي وتحليل جرافولوجي وتحليل سيكولوجي وتحليل لغوي وتحليل سيكولوجي

وتحليل خطي ، أما اذا أردنا إيجازها في لفظتين اثنتين لقلنا اخضاع المحرر لتحليل المبنى والمعنى ، فماذا نستنتج نحن من ذلك؟ دعنا نتخذ العرض السابق كبرهان للمقولات الآتية :

١- إن اليقين الأوحد في قضايا المحرر مجهول الكاتب هو المحرر المجهول ذاته ، وهذه مقولة تبدو متناقضة ، اذ كيف يكون اليقين مجهولاً؟ ولكنها بالرغم من ذلك واقعية ، ذلك أن مركز الاشكالية هو في هذا التناقض ومركز الحل هو في قبول واقعية هذا التناقض .

٢- وتفسير ذلك واضح جلي ، اذ أن الاتجاه نحو تحليل دقيق ومتعدد لمبنى ولمعنى المحرر المجهول يعكس فرضية سابقة على كافة هذه التحاليل مؤداها أن المؤشرات الدالة على الفاعل وبذرة الدليل عليه تكمن في المحرر ذاته .

٣- لذلك ، يجب أن يسير تحليل المبنى جنباً إلى جنب مع تحليل المعنى والملابسات المحيطة بإصدار المحرر ، وذلك بغرض وضع تصورات عن الفاعل وتضييق دائرة الاتهام ، أي جعل نطاق المجهولية في أدنى مستوياتها الممكنة

٤- إن الصورة المثلى للتحليل تأتي بحيث تتكامل فيها نتائج كل تحليل وتلتقي جميعها عند نقطة واحدة ، فاذا تناقضتا وجب تفسير هذا التناقض ، ووضع تصورات جديدة أو بديلة حسب درجة اليقينية والثقة في نتائج كل تحليل .

٥- ويعني هذا أننا بحاجة لإيجاد آلية احصائية وتفسيرية لحساب درجة اليقينية والثقة في تحاليل المحرر مجهول الكاتب ، ويمكن القول إن تحاليل المبنى مادية ولكنها لا تؤدي دائماً إلى الفردية ، ومن ناحية أخرى فان تحاليل المعنى تقديرية وكل تقدير تعوزه الدقة والتحديد

٦. أنه لا سبيل لتوظيف نتائج تحاليل المبني وتقديرها تقديراً صحيحاً دون توفر قاعدة بيانات معرفية ومعيارية ومعاصرة للمكونات البنيوية والتكوينية للمحرر وما يتضمنه من صرح كتابي وما أستخدم في انجازه من أدوات كتابية، وللأهمية العملية لهذه المقولة دعنا نفصل القول عنها بمثال واحد يمثل إحدى أشكاليات خبراء الخطوط والمستندات ليس في عالمنا العربي فحسب ولكن في أرجاء المعمورة، هب أن الفاعل المجهول راح يمطر كمن حين لآخر بمحررات مجهولة مكتوبة بطابعة كمبيوترية، وفي كل مرة يزين محرره بنوع مختلف من أطقم الحروف الكمبيوترية، فهذا نسخ وذاك منير أو نجاح أو ثلث أو توفيق أو مجيد أو ديواني أو أندلسي أو رقعة أو ياقوت أو جيرة أو غير ذلك من أنواع الخطوط الكمبيوترية الموجودة، فكيف يتأتى ذلك التعرف على مخرجات الطابعات الكمبيوترية دون الوقوف بدقة على أنواعها وطرزها والتقنية فيها ودرجة وضوح مخرجاتها RESOLUTION، والبرامج المستخدمة وأنواع وعدد الخطوط بهذه البرامج والنسخ المطورة منها، والإمكانات الاستيعابية للكمبيوتر واللازمة لعمل هذه البرامج كذاكرة الوصول العشوائي والأقراص الصلبة، وقدرة ونوع المعالج، وأحياناً نوع الورق المستخدم؟، ذلك أن الهدف هو الوقوف على كافة العوامل التي تؤثر على الجرة الكمبيوترية سواء أكانت برمجية أو مادية، لقد انتهى ذلك الزمن الذي كنت تعرض فيه المحرر على خبير سائلاً أياه: بأي آلة كتب المحرر؟ فيرد عليك من ذاكرته: أنها آلة كاتبة أولمبيا أو برازار أو هيرمس أو غير ذلك، فالكثرة في الأنواع والطراز والتعدد في التقنيات والتنامي الهائل في آليات الكتابة الآلية قد حسم الأمر لصالح ذاكرة موضوعية

هي ما نقصد بقاعدة بيانات معرفية دقيقة يفرغ فيها كل هذا وغيره، لتكون أدوات مساعدة في ضبط خطوات التحليل والتعرف وفي توجيه مسارات التحري والضبطية بما نطلق عليه التحري عن طريق المكونات النبوية للمحرر، وهذا باب من أبواب أنشطة الخبراء يستحق وحده دراسة قائمة بذاتها (٧)

ولأن المحرر المجهول كثيراً ما يزرع بعبارات يكتبها الفاعل كما يلفظها مثل الأمثال والحكم الشعبية والأقوال الماثورة والزجل والشعر النبطي، وأنه ليس شرطاً لازماً أن يأتي المحرر المجهول مكتوباً كله بالعربية الفصحى بل قد يقابلك هنا وهناك في أركان الصرح الكتابي عبارات تعكس لهجة الكاتب، ولأنه من الثابت علمياً التنوع في اللهجات العربية محلياً وأقليمياً، بحيث يمكنك القول ان هناك لهجات مصرية وسورية وفلسطينية وعراقية ولبنانية ومغربية وخليجية، فاذا ضربت مثلاً باللهجات لقلت ان هذه لهجة حضرية وتلك لهجة بدوية، بل قد تتنوع اللهجات طبقاً للقبيلة أو طبقاً للجغرافيا فتقول مثلاً تلك لهجة عنزية أو دوسرية أو عتيبية أو عجمانية أو ما شئت، كما يمكن تمييز لهجات حضرموت أو جنوب الجزيرة العربية أو شرقها وهلم جرا، ماذا يعني هذا؟ هناك تنوع واسع للهجات العربية، وكيف يستفاد منه أمياً؟ لا مناص اذن من أهمية انشاء قاعدة بيانات معرفية عن اللهجات العربية وتصنيفها من النواحي الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية والجغرافية، لتكون ركيزة مرجعية عند اجراء التحليل اللغوي للمحرر مجهول الكاتب سواء كان مقروءاً أم مسموعاً.

٨- ان التنوع والتعدد في تحاليل المحرر المجهول يستوجب تنوعاً وتعددًا في

الكفاءات البشرية المنوط بها فحص المحرر طبقاً لمدخل الدراسة المقترح، فالمحرر كما ترى هو كثرة من الأدلة يصعب أو قد يستحيل أحياناً الاحاطة بها من قبل عقل واحد، بل يتطلب الأمر فريق عمل من الخبراء المتفرغين والمتخصصين كل في فرع من فروع التحليل المبتغى.

٩- ان عملية التعرف هي انتقال تدريجي ومنهجي من الهوية الفردية (١٣) وأنه لا سبيل للتعرف على الفاعل المجهول دون تضيق دائرة الاتهام للتقليل قدر الامكان مما أطلقنا عليه سابقاً نطاق المجهولية أو مداها، وتحدد هوية الشيء اذا أمكن ارجاعه إلى مجموعة أو فئة، فإذا ارتدت خواص الشيء إلى وحدة كان هذا اثباتاً للفردية، فالفردية هي مجموعة الخواص التي تميز شيئاً بعينه ولا توجد في أي شيء آخر الا ذاته، وفي ضوء هذا المفهوم للهوية الفردية دعنا نقرر أن كافة تحاليل المعنى ومعظم تحاليل المبني تنتهي إلى تحديد الهوية، وهذا يعني أن معظم الجهد المبذول في تحليل معنى ومبنى المحرر مجهول الكاتب يكاد أن ينصب على تحديد الهوية، وقد يستهين البعض بأهمية هذه الخطوة، لماذا؟ لأن هدف عملية التعرف هو تحديد الفردية، والرأي عندنا أنه لا يمكن تحديد فردية الكاتب المجهول دون تحقيق الهوية ابتداءً، ذلك أن الاستقرار على سمات الكاتب وذلك من حيث السمات الأولية كالجنس والسن والمهنة وأصوله العرقية والجغرافية والحالة الاجتماعية، والسمات التعليمية كالمستوى التعليمي والثقافي وقاموسه اللغوي، والسمات النفسية والاجتماعية مثل السواء العقلي والنفسي وموقعه الطبقي أو العشائري، والسمات الفكرية والأيدولوجية مثل اتجاهاته وانتماءاته الفكرية والدينية وأهدافه، أقول وأن لم تحدد مثل هذه السمات فرداً معيناً، فإنها من ناحية أخرى

تستبعد أفراداً وقبائل وجنسيات ودولاً ، كما أنها تسلط انتباه فعاليات التحري في اتجاه فئة معينة بعينها توطئة لتحديد الفاعل الحقيقي ، ان دليل الهوية وفق النظر السابق هو دليل أستبعادي حاسم ، ولكنه اضافة إلى ذلك مرحلة هامة وأساسية في مسار عملية التعرف التي تستهدف الفاعل ذاته .

السؤال الآن هو : كيف يتم غزل هذه المقولات مجتمعة في نسيج متضام متوافق بغية نحت رؤية منهجية في خطوات متتابعة وفق مسارات متنامية للتعرف على الفاعل المجهول ، ذلك المستر خلف معان مفتعلة والمتخفي في تضاعيف جرات كتابية مصطنعة أو أسفل سقف أداة كتابية لا تنبض فيها روح الفردية ، كيف؟ هذا ما نأمل أن يكون موضوعاً لدراسة قادمة مكملة بمشيئة الله تعالى

المراجع

- ١- احمد السيد الشريف، الحديث في التزوير والتزييف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م، ص: ٢٢٣-٢٢٤.
- 2) Basalah, R.F., Forensic Significance of Geographic Origin of Arabic letter: An Introductory Study, The first International Congress of Legal Medicine and Forensic Sciences, Dec. 14-17, 1987, Cairo, Egypt.
- 3) Chang, W.T., Hyang, C-W, and Giang, Y-s. An improvement on Pyrolysis Gas Chromatography for the differentiation of Photocopy Toners, J. of For.Sc., Vol: 38, No: 4, July, 1993, PP (843-863).
- 4) Mazzella, W.D., Lennard, C.J., and Margot, P.A., Classification and Identification of Photocopying Toners by diffuse reflectance infrared fourier transform spectroscopy, J. of For. Sc., Vol: 36, No: 2, March, 1991, P (449-465).
- 5) Totty, R.N., and Baxendale, D., Defect marks and identification of photo copying machines, J. For.Sc., Soc., Vol: 21, No: 1, 1981, PP (23-30)
- 6) James, E.L., The classification of office copy machines from physical characteristics, J. For. Sc., Vol: 32, No: 5 Sept. 1987, PP (1293-1304).
- 7) Osborn, A.S. Questioned Documents, 2nd Ed., Boyd Printing C., albany, NY, U.S.A, 1929, PP (389-420)
- 8) Harrison, W.R., Suspect Documents, Sweet and Maxwell, London, 1958, PP. (469-493).
- 9) Conway, J.V.P>., Evidential Documents, Charles C Thomas, Springfield, Il, U.S.A., 1959.
O'Hara, C.E., O'Hara, G.L., Fundamentals of Criminal Investigation, 5th Ed., Charles, C. Thomas, Springfield, IL, U.S.A., 1980.

- 10) O'Hara, C.E., O'Hara, G.L., *Fundamentals of Criminal Investigation*, 5th Ed., Charles, C. Thomas, Springfield, IL, U.S.A., 1980.
- 11) F.B.I., *Handbook of Forensic Science*, Government Printing Office, Washington, D.C., U.S.A., 1984.
- 12) Kirk, P.L., *Crime Investigation*, 2nd Ed., John Wiley & Sons, New York, 1974, PP (9 - 17).